

التداولية بين لسانيات دو سوسير والفلسفات المعاصرة

Pragmatism between de Saussure's linguistics and contemporary philosophy

بعداش عمار*

جامعة 08 ماي 1945 قالة- الجزائر

مخبر الدراسات اللغوية والأدبية

badache52@gmail.com

تاريخ القبول: 2024/07/24

تاريخ الاستلام: 2023/05/30

الملخص

يروم هذا المقال الوقوف على نسب صريح للتداولية من حيث هي إشكال منهجي ظلّ سؤالاً مؤزّقا لباحثين كثر، طوّحوا به شرقا وغربا، دون أن يشفوا غليل التشكّك المعرفي؛ فهم من جهة لا يجدون بُدّا من إثبات نسبها الأصيل إلى اللسانية، وهم من جهة أخرى ما فتئوا يرددون مقولة: "إنّ التداولية ليست من اللسانية في شيء"، وأنها "مرقعة الدراويش"، و"قمامة إسبانية" تأخذ من كلّ علم بطرف. إن تردّد التداولية، بين هؤلاء وهؤلاء، وتشبّثها في علوم معرفيّة شتى، يدفعنا بقوة إلى إعادة طرح أسئلة جريئة من قبيل: ألم يكن الوقت لإعادة البحث عن "دو سوسير" على حدّ تعبير (ميشال أرنيفي) (M. Arrivé)، وعن اللسانية التي كان يتمثلها في درسه؟ وما محلّ التداولية من كلّ ذلك؟ وإلى أيّ حدّ يمكن التأسيس للسانية عربية تكاملية، تتصالح مع موروثنا اللغويّ، والفلسفي، ولا تتعالى على الواقع اللسانيّ والفلسفيّ في بعده الإنسانيّ؟

- الكلمات المفتاحية: التداولية- التّأصيل- الفلسفة- المعاصرة- دو سوسير- اللسانيات.

Abstract: The present article aims at providing a clear origin of pragmatics for being a methodological problem over which many scholars have been dithering. Despite their continual search, these scholars could not reach a clear answer that would remove the doubts lurking behind their minds. From the one hand, they have no choice but to accept pragmatics origins in linguistics, and from the other hand, they continually kept repeating the statement that "Pragmatics has nothing to do with linguistics" and that it is "dervishes' patched clothes" and "a load of Spanish rubbish" which takes from every science a little piece.

This oscillation of pragmatics between these camps and its spread among various sciences have strongly prompted us to raise challenging questions, such as: is not it high time to re-search Saussure's role, to use Arrivé's words, and the linguistics represented in his course? What is the position of pragmatics from all this? To what extent is it possible to establish an integral Arabic linguistics that is reconcilable *with* our traditional linguistic heritage, but without transcending the linguistic reality in its human dimension?

Key Words: pragmatics, origin, philosophy. Contemmporary. De Saussure. linguistics

يمكن عدُّ الأبحاث السوسيرية _ بإجماع الباحثين في الساحة اللغوية _ الانطلاقة الحقيقية التي عبّدت الطريق لتأسيس نظريات لسانية ومناهج تحليلية، أثّرت حقل تحليل الخطاب بآليات إجرائية، شملت كلّ ما له علاقة بالنصّ/الخطاب.

فقد شكّلت الدّروس التي ألقاها (فردينان دو سوسير) (F.De Saussure) * (1857م_1913م) على طلبته في جنيف، حجر الزاوية الذي قامت عليها جل الدّراسات اللغوية الحديثة؛ فبعد أن كانت الدّراسات السائدة في القرن التاسع عشر دراسات تاريخية قصرت نظرها على دراسة تاريخ اللغات، والكشف عن الوشائج المتحركة بها في حقبة زمنية معينة، لفت التشكّك السوسيريّ أدوات البحث اللسانيّ إلى نواحٍ أحرّ لم تكن ذات بال؛ منها وقوفه على دقائق مفصليّة بين مفاهيم كانت شائعة إلى حد المسلمات غير قابلة التّقص، من قبيل (اللغة واللسان والكلام).

وقد لا نجانب الصواب إن نحن ألحقنا جهود هذا العالم، بتيار ما أضحي يسمّى في أوروبا بـ"المراجعين" (les révisonnistes)، ومن ثمّة ساد أنحاء العالم وسم الدّروس السوسيرية بأنّها طفرة قلّ نظيرها في حقل الدّراسات اللغوية الإنسانية، ولكن السؤال الجوهرى الذي يطرح نفسه ملحا هو: أيّة قيمة معرفيّة قدّمتها دروس (سوسير) اللسانية؟ وهل وصلتنا هذا الدروس واضحة، أصيلة، كما أرادها صاحبها، أم أن تشويهاً ترجميّة لزمته في صورتها المنقولة إلى العربية - خاصة - أفضت إلى انفصام معرفيّ حادّ في دراساتها اللسانية، حتى صار من الصّعوبة بمكان تسويق روابط ممكنة بين ماضينا وحاضرنا اللغويّ عموماً؟

إنّ الإجابة التي نحاول تسجيل أبرز معالمها في هذا المقال، نرى أنّها لن تكون مثلاً نريدها إلا إذا فرّعت عن هذين الإشكاليين السابقيين إشكالا أكثر دقّة، لما له من علاقة وطيدة بين اللسانية كما تمثّلها (سوسير)، وما استقرّ في فهم المترجم لهم من العرب، حول بعض أشكالها، وما يجب أن يلحق بها، أو يفصل؛ نقصد تحديدا ما أضحي يُسوّد بياض كتب كثير من الدارسين، حول تحقّق اللسانية السوسيرية في التوجّه التداوليّ، وما صحّة ما بينهما من تعالق، ماهيّة، ووظيفة؟ أم أنّ الطّبيعة الصّارمة للسانية - كما تأولها التّافلون عن دو سوسير - تأبى هذه المقاربة الوظيفيّة السياقيّة، وتنفيها عنها أصلاً وفرعاً؟

ومن هنا حاولنا تتبع منابت اللسانية الأولى، من خلال استدعاء منظومتها المصطلحيّة كما تمثّلها المحقّقون عن (دو سوسير)، ثم عرضنا مفاهيم التّدالويّة عليها، طلباً لأحكام مؤسّسة تُشرّع لنا نسبة التّدالويّة - من حيث هي علم منوط باللغة - من عدمها.

أولاً - دو سوسير والفتح اللسانيّ:

فرّق (دو سوسير) بُدأة، بين ثلاثة مصطلحات لسانيّة هي: اللّغة، نظاماً كُليّاً، أمّا، مجرّداً، واللسان بوصفه نظاماً يغطّي اللّغة والكلام معاً، والكلام من حيث هو الاستخدام أو التّجسيد الفرديّ للسان، أي ما يختاره فرد ما، من أفراد مجتمع معيّن، حيث يقول: « لا ينبغي الخلط بين اللّغة واللسان، فما اللّغة إلّا جزء محدّد منه، بل عنصر أساسي، وهي في الوقت نفسه نتاج اجتماعي لملكة اللسان [...] وإذا نظرنا إلى اللسان ككلّ، فإننا نجدّه متعدّد الجوانب ومتغيّر الخواصّ، ولأنّه يمتدّ في غير اتّساق إلى أصعدة مختلفة في آنٍ واحد¹، فاللسان

* (فردينان دو سوسير) (F.De Saussure): عالم لغوي سويسري شهير، أشهر فلاسفة القرن الثامن عشر، يعدّ الأب الروحي للمدرسة البنوية والمؤسس لها، قام بدراسة اللغة دراسة وصفية باعتبارها ظاهرة اجتماعية، وقد كان أول من عدّ اللسان فرعاً من علم أشمل يدرس الإشارات الصوتية واقترح تسميته (semiology) ينظر: محمود عكاشة: النظرية اللسانية البراغماتية، ص ص: 23_24

¹ _ (F. De Saussure: course in general linguistics, (1916) wade baskins translation, 1974,

نظام يحتكم إليه التجسيد اللغوي والكلامي، أما اللغة فهي المكون الذهني الذي تتجلى واقعيته من خلال الكلام المتمثل في المنطوقات التي يتحكم بها اللسان من جهة، واللغة من جهة ثانية، والسمات الشخصية للفرد المتكلم وما يحيط به من جهة أخرى. إن (دو سويسر) - كما أسلفنا الذكر سابقاً - يقرر بأن الظاهرة اللسانية تتمثل في:

(1) اللسان (La langue):

يشكل اللسان نظاماً عاماً للغة، إذ يضم كل ما يتعلق بكلام البشر، وهو بكل بساطة لسان أي قوم من الأقوام، ويتكون من ظاهرتين مختلفتين اللغة والكلام، ويؤكد (دو سويسر) على إلزامية التفرقة بين اللغة واللسان، ذلك أن التواشج والتعلق بينهما ينحصر في شمولية اللسان الذي يحوي اللغة والكلام معا. ويرتبط اللسان بلغة ما من لغات الأمم رغم اختلافهما، فنقول: لسان عربي، أو فرنسي، أو إنجليزي... إلخ.

(2) اللغة (Le Langage):

تعد اللغة ظاهرة اجتماعية، ذلك أنها تشكّل نقطة تواصل بين المرسل، والمرسل إليه، ونتائج التفاعل بينهما، وقوتها تكمن في « كونها الرابطة الوحيدة للتعبير عن الفكر والوجود، ودليل الانتماء للعالم، ومعرفته، وكذا في استرجاع تعبيرية الذات»⁽²⁾، إذ تُسهم في التعبير عن أغراض المجتمعات، والأقوام على اختلاف بنياتهم الجذرية، والثقافية، و«اللغة ليست لذاتها ولكن لعالم تفتحه وتكشفه» [...] وكذا اعتبار تعبيرية اللغة هي تعبيرية الإنسان ذاته»⁽³⁾، وبذلك تتجسد اجتماعية اللغة باعتبارها مكوناً ذهنياً إنسانياً يختلف عن الأدوات الإنسانية الأخر كاللسان، والكلام، من منظور أن اللغة تؤخذ « كعلاقة حيّة مع نفسها، أو مع الآخرين، ليس كأداة أو وسيلة، ولكن كنمظهر للوجود الداخلي، وللرابطة النفسية التي توحدنا مع العالم، ومع أنفسنا»⁽⁴⁾.

فاللغة هي ذلك النظام الذي يحقق الوظائف التواصلية، والمعرفية بين البشر، التي تمكنهم من التداول فيما بينهم سواء أعلق الأمر بالأطر الأساسية أم الثانوية؛ فباللغة تتحدد مقومات الأمة وحضارتها.

(3) الكلام (Le parole):

يعدّ الكلام السمة الظاهرة المميّزة للفرد من غيره من الأفراد، باعتبار أنه تجسيد إجرائي لقواعد نظرية متمثلة في اللغة، فالكلام على الرغم من أنه نتاج فردي إلا أنه ذو سمة اجتماعية، وهذا ما استند إليه (دو سويسر) ؛ فهو وإن فرّق بين اللغة والكلام، إلا أنه ما فتئ يردد أن للكلام جانبين: شخصي، واجتماعي، «ولا يمكن تصوّر الواحد دون الآخر»⁽⁵⁾، على اعتبار أن الكلام نتاج فردي ولغوي ، أما اللغة فتتاج اجتماعي، لأن الكلام يخضع لقيود شخصية اجتماعية، تميّزه من غيره من أنواع الكلم.

(2) عمارة ناصر: اللغة والتأويل؛ مقاربات في الميرمينوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي، دار الفرائي، بيروت، لبنان، دط، ص: 54.

(3) المرجع نفسه، ص: 55.

(4) المرجع نفسه، ص.ن.

(5) فردينان دو سويسر: دروس في الألسنية العامة، تر: صالح القرمادي، وآخرون، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، دط، دت، ص: 28.

يتبدى لنا - في ضوء ما سبق - «الكلام متعدد الأشكال، متباين المقومات، متوزعا في الآن نفسه بين ميادين متعددة، بما فيها الفيزيائي والفينولوجي والتفسي، منتميا في الآن نفسه إلا ما هو فردي وإلى ما هو اجتماعي»⁽⁶⁾، فعلى الرغم من أن الكلام ناتج عن فرد معين، يضيف عليه من سماته الانفعالية والتفسيّة كالفرح، والحزن، لكن علاوة على ذلك فهو (الكلام) متّسم بالاجتماعية؛ لأنّه يخضع دون نقاش إلى المقومات الثقافية، والسمات الشخصية، والأطر الاجتماعية؛ فكلام طبيب إلى طبيب مثلا، غير الكلام الموجّه من طبيب إلى عامي، وكلام إنسان يعيش حالة فرح، غير كلام إنسان يعيش حالة حزن... إلخ.

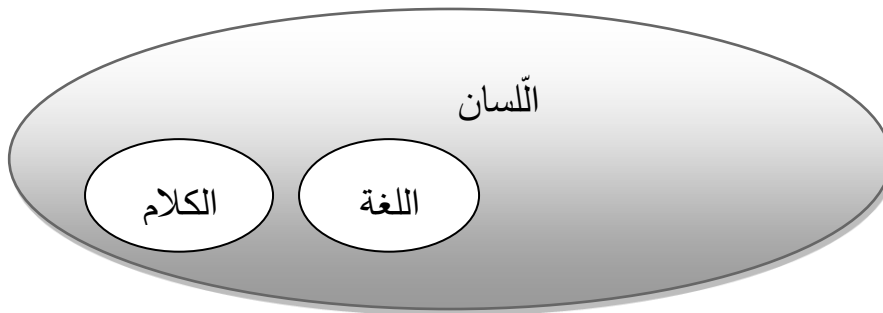
يتضح ممّا سبق أنّ للكلام في الوجود صورتين، وجود بالقوة، ووجود بالفعل، فكل كلمة تنطق أو تسمع تترك مجموعة من الانطباعات في ذهن كلّ من المرسل والمرسل إليه⁽⁷⁾، بمعنى أنّ الكلام مجموع قواعد نظرية متمثلة في اللغة، وتجسيد واقعي متمثل في النطق، ذلك أنّ اللغة تلتصق عنوة بالإنسان؛ لأنّها مكتسبة فطريا، على خلاف الكلام الذي يخضع -نوعا ما- للقيود الإنسانية أو ما يمكن أن نصلح عليه بـ(وقعنة اللغة)، فاللغة تتوقعن من خلال «فعل كلامي ملموس، ونشاط شخصي مراقب، يمكن ملاحظته من خلال كلام الأفراد أو كتاباتهم»⁽⁸⁾، أو بمعنى آخر؛ يظهر الكلام المنطوق من خلال الصوت اللفظي، إضافة إلى مصاحباته الإيمائية من نبر وتنغيم، وإشارات وحركات جسدية، أمّا الكلام المكتوب فإنّه يظهر مجسّدا في طبيعة الكلمات المضمنة خطابيا، والمتمثلة في البنى الدلالية وما تشير إليه.⁽⁹⁾ وقد حدّد (دو سوسير) جانبين لدراسة الكلام لخصهما في⁽⁹⁾:

- الجانب الجوهري:

وتهتم الدّراسة اللّسانية للكلام في هذا الجانب بدراسة اللغة؛ وهي جماعية في جوهرها، ومستقلّة عن الفرد، وهي دراسة نفسية بحثية.

- الجانب الثّانوي:

وتتركّز الدّراسة في هذا الجانب على التلقّظ بما في ذلك عملية التّصويت، وهو نفسيّ فيزيائيّ.



⁽⁶⁾ المصدر نفسه، ص: 29.

⁽⁷⁾ ينظر: ستيفن أولمان: دور الكلمة في اللغة، تر: كمال محمد بشر، مكتبة الشباب، مصر، دط 1975م، ص: 19.

⁽⁸⁾ أحمد مومن: اللسانيات؛ النشأة والتطور، ص: 124.

⁽⁹⁾ يُظهر هذا الإشراق البحثي في دروس سوسير - حسب رأينا - أصول التداولية اللسانية، ماثلة في غير لبس، من خلال اشتغالها على الكلام أو ما يشيع في دراساتنا العربية تحت مصطلح (اللغة في الاستعمال)، وهو ما سنجدّه فيما بعد عند ما يسمى بـ(فلاسفة اللغة الطبيعية)، أي اللغة في ارتباطها بالمقام التخاطبي، وجهود المرسل إليه بحثا عن المعنى المقصود، وما من شك في أن تراثنا النقدي والبلاغي، لا يكاد يقوم إلا على هذه الثنائية الحاسمة، ثنائية الكلام والمقام، ومع ذلك نزع أن البحث فيها لمّا يصل بعد إلى إرواء صدى الخققين من اللغويين العرب.

⁽⁹⁾ ينظر: فردينان دو سوسير: دروس في الألسنية العامة، تع: صالح القرمادي، وآخرون، ص: 41.

إنَّ تفرقة (دو سوسير) بين اللغة، واللسان، والكلام، لم تكن في الحقيقة إلا لغاية تأسيسية بحثية، وهي بحثه عن أصول نظرية عامة للسانية، تكون-بدورها - منتجة نظريات لسانية أخرى، وهي وإن لم تستفد منها، لم تعدم الأخذ عنها.

وكما يبدو جلياً، فإن قوام كيان الظاهرة اللسانية، في فكر (دو سوسير)، ركنان لا ثالث لهما، هما: اللغة والكلام، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار وصف اللسان النظامي، لذلك كانت اللسانيات العامة رافداً نخلت منه نظريات عديدة، منها التداولية اللسانية التي طفقت تغرف من المبادئ التي سطرها (دو سوسير)، حين اتخذت من الكلام موضوعاً لها، ونظرت إليه من حيث هو تجسيد للغة الخاضعة للنظام اللساني من جهة، والمحتكم إلى الخصوصيات الفردية الاجتماعية، من جهة أخرى، وسنفرد - فيما يلي - حديثاً مسهباً، لعلّه يكون فيصلاً في قضية التّهلّ التّداولي من اللسانيات السّوسيرية من عدمه، ولكن يحسن بنا قبل ذلك أن نمهّد له بالوقوف ملياً عند تنازع أصول التداولية بين الفلسفة واللّسانيّة.

ثانياً: التّداولية بين الشّمول الفلسفي والتّشمل اللّساني:

ترجع أصول مصطلح "التّداولية" في معناها الغربي "Pragmatique"، إلى الأصل اليوناني "Pragma"؛ الذي يعني العمل أو الفعل، ومنه اشتقت الصّفّة اليونانيّة "Pragmaticos"، التي كانت تطلق على كلّ ما هو عمليّ قابل للتّطبيق، وقد خصّص العلماء في العصر الحديث مصطلح "Pragmatisme" للدّلالة على حقل الفلسفة التّفعية، و"Pragmatics" مصطلحاً يشير إلى اللّسانيات التّداولية⁽¹⁰⁾، وقد جعل منه (جورج يول) (George Yule) عنواناً لكتابه "Pragmatics".

ويستمدّ مصطلح "التّداولية" معناه في اللغة العربيّة من الجذر اللّغوي [دَوَلَ]، و«الدّولة اسمُ الشّيء الذي يُنداول، والدّولةُ الفعلُ والانتقالُ من حال إلى حال، [...] وتَدَاوَلنا الأمر، أَخَذناه بالدّول ويُقال: دَوَلَيْكَ أي مُدَاوَلَةً على الأمر...»⁽¹¹⁾، ويُقال: «(داول) كَذَا بَيْنَهُمْ: جَعَلَهُ مُتَدَاوِلاً، تَارَةً لِهَؤُلَاءِ، وَتَارَةً لِهَؤُلَاءِ، وَيُقَالُ: دَاوَلَ اللَّهُ الْأَيَّامَ بَيْنَ النَّاسِ: أَدَارَهَا وَصَرَفَهَا، وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾»⁽¹²⁾ [...] (تداولت) الأيدي الشّيء: أَخَذَتْهُ هَذِهِ مَرَّةً وَهَذِهِ مَرَّةً، وَيُقَالُ: تَدَاوَلَ الْقَوْمُ الْأَمْرَ»⁽¹³⁾.

تشير جلّ المعاني المستنبطة سالفاً أنّ الجذر اللّغوي "دَوَلَ"، يرتبط بكلّ ما له علاقة بالتبدّل، والتغيّر من حال إلى حال، وهذا ما يمكن أن ينطبق على اللغة، بلّه الكلام -باعتباره موضوع اللّسانيات التّداولية- الذي يقتضي التّداول بين طرفين على الأقل، مرسل ومرسل إليه. لقد عُدّت -التّداولية- في أواخر القرن الماضي إحدى أبرز الاتجاهات اللّغوية التي ظهرت في حقل الدّراسات اللّسانية المعاصرة، بفضل ما أثّرت به الدرس اللساني من آليات إجرائية، تجاوزت الآليات الشكلية العقيمة، النازرة إلى بعض المكوّنات الخطابية، التي لا يمكن الاستغناء عنها في تحليل الخطاب نظرة شزراء، وإن ظل الإجماع على تعريف جامع، مانع، لها أمراً صعب المنال بالنظر إلى تعدّد مشاربها من جهة، وعدم وضوح موضوعاتها من جهة أخرى؛ فهي لما تحسم بعدُ الوظيفة المضطّعة بها، كما أنّها لما تتخذ موقفاً راديكالياً يبعد عنها

(10) يُنظر: محمود عكاشة: النّظرية البراغماتية (اللّسانية)، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 2013، ص: 09.

(11) ابن منظور، أبو الفضل، جمال الدين محمد، ابن مكرم (ت 711هـ): لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، دط، مادة [دول].

(12) سورة آل عمران: الآية: 140.

(13) مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط 4، 2004، مادة [دول].

ويديني، على غرار الاتجاهات التقليدية، ومن هنا وجدنا غير واحد من منظريها يسميها بأنها « درسٌ جديدٌ وغزيرٌ، إلا أنه لا يمتلك حدوداً واضحة...»⁽¹⁴⁾، ذلك أنها تمتع من علومٍ عدّةٍ على غرار: الفلسفة، واللّسانيّة،... الخ، ما جعل اللّغويين يختلفون في طبيعة هذه النّظرية، ماهية ووظيفة، ومنهلاً وتوجهاً، فراح كلّ منهم يصوغ -تبعاً لذلك- تعريفه الذي يرى أنه أجمع وأمنع، لجوانب هذا العلم المتشظية، فتعدّدت التعاريف، وتنوّعت المفاهيم بين من يخلع عليها لبوس الانتماء إلى جوهر البحث الفلسفي، ومن ينحو بها منحى لسانيا محضاً، فطلّت التداولية تتأرجح بين المنزعين، وإن وجدنا منزعا آخر ينسبها في غير تحرجٍ إلى أصولٍ عربيّة قديمة.⁽¹⁵⁾

1) التداولية مبحثاً فلسفياً:

يرى عديد الباحثين أنّ الدرس التداولي قام على دعائم الفلسفة النّفعيّة الواقعيّة، وبالتالي فهو فلسفي المنبع، خاصّة وأنّ «اللّسانياتِ التداوليّة اسم جديد لطريقة قديمة في التّفكير، [...] فقد بدأت على يد سقراط، ثمّ تبعه أرسطو والرواقيون بعد ذلك، لكنّها لم تظهر إلى الوجود كنظرية في الفلسفة إلا على يد "باركلي"»⁽¹⁶⁾، الذي ضرب في جنباتها، وغاص في غياهبها الوجودية. وقد اتّكأ معظم متبنيّ هذا الطرح على حجة تؤسّس لنتيجة مُفادها: أنّ التداولية لم تولد إلا في حضن الفلسفة، بالنّظر إلى أنّ لبنة هذا الدرس الأولى - والتي بدت جليّة مع ظهور مقال (شارلز ساندرس بيرس) (Charles Sanders Peirce) (1839م-1914م)*، "كيف نجعل أفكارنا واضحة؟" (عام 1878م) - فلسفيّة خالصة، وفيه تساءل: متى يكون للفكرة معنى؟، وقد استقى مصطلح "التداولية" من الفيلسوف الألماني (إيمانويل كانط) (Emmanuel Kant) (1724م-1804م)، حين ميّز بين اللفظ البراغماتي واللفظ العملي، وعالجه في سبع مقالاتٍ بعنوان: "محاضرات في التداولية"، وخلص إلى أنّ التداوليّة منهجٌ في التّفكير تُوضّح من خلاله الألفاظ، والمفاهيم، وتُحدّد معانيها⁽¹⁷⁾.

ويبدو تأثر الفيلسوف الأمريكي (شارل وليام موريس) (Charles W. Morris) (1901م - 1979م) بمواطنه (بيرس) واضحاً، فهو أوّل من استخدم مصطلح "التداولية" بمفهومها الحديث، وذلك (سنة 1938م) حيث ميّز بين ثلاثة فروع ذات أصلٍ سيميوطيقي هي⁽¹⁸⁾:

- علم التراكيب: ويُعنى بدراسة العلاقات الشّكلية ببعضها البعض.

- علم الدلالة: ويهتم بدراسة علاقة العلامات بالأشياء التي تدلّ عليها في العالم الخارجي.

(14) فرنسواز أرمينيكو: المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، دط، 2003، ص: 171-172.

(15) ينظر مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيروت-لبنان، ط1، 2005. ومنال محمد هشام سعيد النجار، نظرية المقام في ضوء البراغماتية، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، ط1، 2011.

(16) نعمان بوقرة: المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، دط، 2003، ص: 167.

* أول من استعمل مصطلح (التداولية pragmatism)، وتناوله فلسفياً في مقال (تثبيت الاعتقاد) عام 1848م، ينظر محمود عكاشة، النظرية اللسانية البراغماتية؛ دراسة المفاهيم والنشأة والمناهج، ص: 10.

(17) ينظر: المرجع نفسه، ص: 171، 178.

(18) ينظر: محمود أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، دط 2002، ص: 09.

- التداولية: وتتم بدراسة علاقة العلامات بمؤولها.

لقد أفرد (موريس) للتداولية مبحثاً مستقلاً، وجعلها جزءاً من السيميوطيقا، وحصر أهميتها في دراسة طبيعة العلاقة بين العلامة ومستعملها؛ (المرسل، والمرسل إليه)، وهو وإن لم يوضح طبيعة العلامة، ونوعها، إلا أن الفضل يعزى إليه في جعله العلامة أكثر شمولاً، بل يعد من أوائل المبادئ بلا نهائية المعنى، حين شرع باب التأويل، وفتح على مصراعيه.

ومن الفلاسفة الذين سوزوا البحث التداولي، ورسموا معالمه الفاصلة، وضبطوا حدوده المميزة؛ رواد فلسفة اللغة التحليلية، وبالتحديد فلاسفة اللغة العادية الذين يعود إليهم فضل إرساء قواعد الدرس التداولي المعلمية.

ويتجلى اهتمام رواد الفلسفة التحليلية بالمبادئ التداولية ممثلين في زعيمها: (غوتلوب فريجة) (Gotlob Frege) (1848م-1925م)، الذي أثرى ساحة التداولية، وأسهم في تثبيت دعائمها بفضل تمييزه بين اللغة العلمية واللغة الطبيعية⁽¹⁹⁾ - على اعتبار أن الثانية قابلة للدراسة، والمعالجة؛ حيث يمكن مثلاً استخلاص قواعد تحكم التواصل بين المرسل، والمرسل إليه - وبين اسم العلم، والاسم المحمول، ذلك أن الأول يؤدي معنى تاماً مستقلاً، غير محتاج إلى لفظ يكمله، ويتم معناه عكس الثاني الذي يبقى ناقصاً، محتاجاً بنفسه إلى اسم علم يكمله، ويجبر ما يعتوره .

وقد تفرع عن الفلسفة التحليلية ثلاثة اتجاهات كبرى، اختارت موضوعاتها وأسسها، التي لم تنأ عما سبق ذكره، لولا احتفالها بالتفرع، وميلها إلى التفصيل، على غرار الوضعانية المنطقية التي اتخذت من اللغة المثالية أساساً تقيم عليها أبحاثها، وأبرز من يجسد أفكار هذا الاتجاه، وينوب عنه، ويلخص ما ذكرناه سلفاً من سعي دؤوب إلى توليد الدقائق، وتفصيل الجمل، (رودولف كارناب) (R.Carnap) (1891م - 1970م)، (الذي راجع أفكاره وناقضها فيما بعد).

في حين اختارت الظاهراتية اللغوية بزعامة (إدموند هوسرل) (Husserl Edmund) (1859م - 1938م)، الاهتمام بالكلام ودراساته وهو يحدث، على غرار غيره من الظواهر الطبيعية، وإن استعانت في ذلك بالمرحلة الوجودية التي تسبقه.

بينما نحا اتجاه الفلسفة التحليلية الآخر (فلسفة اللغة العادية)، منحى مابيناً، بدأ برفض (لودفينغ فيتغنشتاين) (L.Wittgenstein) (1889م-1951م)؛ الحاذي حذو (فريجة)، مبادئ الفلسفة الوضعانية المنطقية، معلناً ميلاد اتجاه آخر أسماه فلسفة اللغة العادية⁽²⁰⁾، مهمته قصّر النظر على الجانب الاستعمالي للغة.

انطلق (فيتغنشتاين) من ضرورة الاهتمام باللغة الطبيعية العادية، فعدّها لعبة وأداة، مستنداً في ذلك إلى تصوّرات (دو سوسير) (De Saussure) (F.) حولها، حين شبه اللغة بلعبة الشطرنج مع مخالفته له في بعض الجوانب باعتبار أن اللغة تتعدّد معانيها وتتغيّر بحسب تداولها بين المرسل، والمرسل إليه، وبحسب السياق الذي استعملت فيه.

وعلى الرغم من جهود هؤلاء الفلاسفة، وإسهاماتهم في بناء الصرح التداولي، إلا أن التداولية لم تصبح علماً يُعتدّ به في الدرس اللغوي المعاصر إلا في سبعينيات القرن العشرين من خلال فلاسفة اللغة المنتمين إلى "جامعة أكسفورد"⁽²¹⁾ الآتية أسماؤهم:

(19) يُنظر: نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، ص: 182.

(20) يُنظر: المرجع السابق، ص: 20.

(21) يُنظر: محمود أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي، ص: 09.

ـ جون لانجشو أوستين (Jhon Lanshaw Austin) (1911م_1960م)*:

وهو أحد أكثر المتأثرين بأفكار (فيتجنشتاين)، و(فريجة)، وأول من وضع أول لبنية في بناء الصَّرح التَّداولي، من خلال فكرة "أفعال الكلام"، التي بسطها في سلسلة محاضرات مؤثرة، ألقاها في "جامعة هارفارد" (سنة 1955م)، ثم شكلت - لاحقاً - محور كتابه "كيف ننجز الأشياء بالكلمات؟" "How To Do Things With Words ؟"؛ ومن أبرز ما دعا إليه (أوستين) تجاوز النظرة النمطية التي ترى أنَّ وظيفة اللُّغة الأساسيّة هي الإخبار، أو وصف وقائع العالم الخارجي، ومن هنا بدأ بالتمييز بين نوعين من الأفعال:

أ_أفعال إخبارية: (Acte Constative):

تقتصر مهمتها على وصف وقائع العالم الخارجي، وتكون صادقة، أو كاذبة، بالنظر إلى تطابق نسبتها الداخلية والخارجية، ولعل متلقي هذا الصفحات، لا يعدم الزاد التراثي الذي يحيله إلى أضرب الخبر في الدرس البلاغي العربي، وما دار حوله من جدل وتأول كلامي، عند أرباب علم الكلام، من معتزلة وأشاعرة..

ب_أفعال أدائية (Acte Performative):

وهي أفعال تتجاوز وظيفة الإخبار، إذا نطقنا بواحدة من هذه الأفعال، فإنها تؤدي فعلاً فهي أفعال كلام، نحو: نشكركم على حسن المتابعة؛ ففعل الشكر أُجِز في الوقت الذي تلفظنا به، وهذه الأفعال لا تحمل الصدق أو الكذب، إضافة إلى ذلك فقد حدّد (أوستين) شروطاً قياسية، وشروط ملائمة لنجاح الفعل الأدائي، وتنزل عن الأفعال الإخبارية واحتفظ بالأفعال الأدائية، التي قسّمها فيما بعد إلى ثلاثة أفعال؛ فعل القول، والفعل المتضمن في القول، والفعل الناتج عن القول، كما قام في ضوء ذلك إلى تقسيم الفعل الكلامي إلى خمسة أقسام: أفعال الأحكام، والقرار، والتعهد، والسلوك، والإيضاح.

ـ جاء بعد (أوستين) تلميذه جون سول (J.Searle) (وُلد 1932)، الذي استفاد من دروس أستاذه، واقترح بعض التعديلات، وقام بوضع الأسس المنهجية لنظرية أفعال الكلام في كتابه "الأفعال اللغوية" "Speech Acts" الصادر (عام 1969م)، فطوّر مثلاً شروط الملاءمة عند (أوستين) وجعلها أربعة هي:

ـ شرط المضمون القضوي.

ـ والشَّروط التمهيدي.

ـ وشرط الصدق.

ـ والشَّروط الجوهرية.

كما قسّم الأفعال إلى أفعال مباشرة، وأخرى غير مباشرة، ثم أعاد النظر في الأفعال الكلامية، بتقسيم الأفعال إلى خمسة أقسام: الإخباريات، والتوجيهيات، والالتزاميات، والتعبيريات، والإعلانيات.

* فيلسوف لغة بريطاني، ويعرف في الأساس بأنه واضع نظرية أفعال الكلام.

* فيلسوف أمريكي معاصر، متخصص في فلسفة اللغة وفلسفة الذهن. ولد سول في دنفر بولاية كولورادو عام 1932، ودرس الفلسفة في أوكسفورد. وفي عام 1959 صار أستاذاً لفلسفة اللغة بجامعة بيركلي. أسهم في إغناء نظرية أفعال اللغة أو أفعال الكلام التي أسسها جون أوستين في كتابه المشهور كيف تنجز الأشياء بالكلمات، حيث يعد كتاب سول أفعال اللغة (1969) أحد أهم المصادر في نظرية الخطاب المعاصرة، ينظر: <http://www.wikiwand.com/ar> تم زيارة الموقع في: 2018/09/10م، على الساعة: 19:58.

- إضافة إلى (أوستين) و(سورل) ولج الساحة فلاسفة آخرون على غرار بول غرايس (Grice Paul)(1913م-1988م)، الذي أسس لنظرية الاستلزام الحوارية، وقال بمبدأ التعاون الذي يحكم الحوار بين الأطراف المتلقطة.

إنّ هذه البدايات الفلسفية على استشرائها في الكينونة التداولية، إلّا أنّها لم تنف الطابع اللساني عنها، وهو ما تُبينه تعاريفُ عديد الباحثين الغرب والعرب، على حدّ سواء.

2- التداولية تفرعاً لسانياً:

تبنى جمع من الباحثين واللغويين الرواد، مقولة أنّ التداولية فرع لسانيّ، لا فلسفيّ، ونافحوا عنها، معتدّين في ذلك بملاح تشكّلها الأولى، وبتضاريسها المنهجية، فهي عديلة غيرها من النظريات اللسانية، تدرس اللغة، من منظور معرفي مغاير، مبني على مقارنة عملية، تحاول النأي بها عن التجريد ما أمكن، فهي لسانية المنشأ، غير تقليدية المذهب، تسعى إلى تجاوز التحليل التقليدي للنص/الخطاب باستدعاء كلّ ما له علاقة بهما؛ ف(آن ماري دير) (Anne Marie Diller) و(فرنسواز ريكانياتي) (Francois Récanati) (وُلد 1952)-مثلاً- يُحدّان التداولية بأنّها «دراسة استعمال اللغة في الخطاب شاهدة في ذلك على مقدّرها الخطائية»⁽²²⁾. ويأتي اهتمام التداولية باللغة في الاستعمال بُغية الوصول إلى مقصدية الخطاب، والكشف عن القوة الإنجازية المحقّقة من تبليغ، وإفهام، وتأثير... الخ، فهي تسعى -أولاً وأخيراً- إلى تجاوز عمق النصّ (شكلته)، متوسّلةً بخارجه (السياق)، على اعتبار أنّ اللغة ظاهرةً خطابيةً، وتواصليةً واجتماعيةً جميعاً⁽²³⁾، وترى أنّ الطرح اللساني التقليدي، المتعالي على سياق الاستعمال ومقصدية المتكلّمين، طرح غير مصيب، وقاصر، ولا يمكنه مجازة مفهوم الخطاب، وبهذا حاولت المقاربة التداولية تجاوز القراءة الصّورية للغة، وإن ظلت مقارفةً لتوجّوها اللسانيّ، وقيّة لمقولات روادها العامة، باحثة في مستوى آخر عن ضوابط منهجية خاصّة بها.

يقول أحد رواد هذا التوجّه في الجزائر: «ليست [التداولية] علماً لغوياً محضاً بالمعنى التقليديّ، علماً يكفي بوصف وتفسير البنى اللغوية، ويتوقّف عند حدودها وأشكالها الظاهرة، ولكنّها علمٌ جديدٌ للتواصل الإنساني، يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال، ويدمج، من ثمّ، مشاريع معرفيّة متعدّدة في دراسة ظاهرة "التواصل اللغويّ وتفسيره"»⁽²⁴⁾.

إنّ التداولية -إذن- لا تكتفي بدراسة الظاهرة اللغوية، بمعزل عن مكّانها، بل تسعى إلى تفعيل محور التاريخ، لا تعطيله، لأنّ جوهر التحليل -حسبها- هو إدراك المعنى المقصود وتأوّلّه على وجه يظهر صميم الحدث اللغويّ، ببعديه التّواصليّ، والاجتماعيّ، وما من شكّ في أنّ هذه الروح الكامنة لا تُستجلى إلا وهي حدثٌ، ظاهرة، تنفعل - أولاً- داخلياً مع مكّاناتها، الجوهرية، البصميّة، ثم تتفاعل -ثانياً-

(22) فرنسواز أرمينيكو، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، ص: 08.

(23) ينظر: المصدر نفسه، ص: 06.

(24) المصدر نفسه، ص: 16.

(^{٢٥}) نعتي به المكان والزمان في مقابل الأجنبي (l'espace-temps) وإن شاع استعمال (الزمان) الذي نرى مخالفته للمنطق، والمصطلح الأصلي، المترجم، وندين بفضل تبنيها إلى هذا التجاوز المصطلحي المستشري في أوساطنا البحثية، للدكتور الزميل: السعيد مومني، للاستفاضة ينظر: المكان الشعري من نهر الرواد لخليل حاوي، قراءة المكان في علاقته بالتشكيل الشعري، رسالة ماجستير، إشراف: بوجمعة بويغيو، جامعة عنابة، 1999-2000، ص: 22-27. وينظر: مصطفى محمود، أينشتاين والنسبية، دار العودة، بيروت- لبنان، دت، ص: 27-69. وأيضاً: خليل أحمد خليل، معجم المصطلحات الأسطورية، دار الفكر اللبناني، بيروت- لبنان، 1996، ط1، ص: 121.

مع ما يُسَوِّرها في سياق حدوثها وتشكلها المادي، أي وهي تستقل وجوديا بملاحظتها الاجتماعية، وهنا يمكن الحديث عن مقصدية المتكلمين، الظاهرة والمضمرة، من حيث هي اقتران حدث خطابي يحدث مقامي، وهذا هو المعنى الذي يمكن أن نتصوره رديفا لمصطلح (الاستعمال). وكان (الجيلالي دلاش)، قد أعلى من هذا التصور، مبكراً، حين أكد أنَّ التَّداولية «تخصُّصٌ لسانيٌّ يدرسُ كيفيةَ استخدامِ النَّاسِ للأدلةِ اللُّغويةِ في صلبِ أحاديثهم وخطاباتهم كما يُعنى من جهةٍ أخرى بكيفيةِ تأويلهم لتلك الخطابات والأحاديث»⁽²⁵⁾، ومن ثمةً هناك فرقٌ يلمس بين اللسانية التداولية واللسانية الحوارية؛ لأنَّ كليهما يهتمُّ ببعْدِ الخطابِ الحجاجي متجاوزاً بنية اللُّغة السطحية إلى العميقة. ولعل ما ذهب إليه (دلاش)، هو المفهوم عينه من كلام (فرنسواز أرمينيكو)، حين فصلت في الشقِّ الذي لا بدَّ للسانية أن تنحاز إليه، بقولها: « ونفهم عند هذا الحد بأن التداولية، وهي تستدعي القرار الإستيمولوجي، القاضي بإبعاد الكلام من الحقل اللساني، بحكم كونه ظاهرة فردية محضة، تخالف في ذلك وجهة النظر البنيوية كما تخالف نحو (تشومسكي) (CHAUMSKIE) الذي خيب الآمال التي علقنا عليه، وعلى عكس ذلك تعد التداولية استطلاة لسانية أخرى للسانيات التلفظ التي دشنها (بنفينست) (BENVENISTE)»⁽²⁶⁾.

فالتداولية، بهذا المعنى امتداد للسانية التلفظية، البنفينيستية، على اعتبار أنَّها قامت على معارضة المناهج الشككية، التي أمنت في فردنة الكلام، وعالجته في قمة انسلاخه من المرسل وسياقه، ويمكن سَمِّها بأنها فرعٌ لسانيٌّ محدثٌ، صَبَّ اهتمامه في دراسة اللُّغة اليومية المتداولة بين المرسل، والمرسل إليه ضمن أسئلة مختلفة، مع محاولة فهم المؤثرات المتحركة بالمتكلم حال تفاعله مع المقام، وهنا لا بدَّ أن نشير إلى لا محدودية فهمنا لكلٍّ من: المرسل، والسياق، تماشياً مع التأطير المعرفي المنتج لمعنى التداول؛ الذي يقتضي التفاعل، والتبدل، والتناوب على التلبس بالوصف، وأما السياق فقد أضحي من العسير الوقوف على معنى يحده، خاصة في حقل تحليل الخطاب.

ثالثاً: اللسانيات التداولية استطلاة سوسيرية:

قد كانت اللسانية السوسيرية ولا تزال منبعاً لا ينضب، ومجالاً حيويًا متعدد الأطاريح؛ ولذلك شكَّلت المبادئ والأسس التي جاد بها تفكير (دو سوسير) اللغوي، منطلقات أساسية لمن جاء بعده، لم تنته بفوات حقبتها الزمنية، بل ظلَّت نقطة ارتكاز، ومعلماً مؤشراً لعددٍ من النظريات والفروع اللسانية المتمخضة منه.

إنَّ أوَّل ما نريد أن نحيل إليه - في بداية زعمنا أن اللسانية التداولية ماهي إلَّا امتداد للسانيات السوسيرية - هو إجلاء الأسس السوسيرية التي نرى أنَّها لم تفارق التداولية نشأة وتطوراً، وجعلتها تنتقل من "غرفة مهملات"^(*) أو "مِرْقعة للدرأويش"^(**) في بداية ظهورها إلى "قاعدة

(25) الجيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر: محمد بجاتن، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، دط، 1992، ص: 01.

() فرانسواز أرمينيكو: المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، ص: 9.26

() اختيار المترجم: سعيد علوش: ينظر أرمينيكو فرانسواز: المقاربة التداولية، ص: 12.

(**) وهي الترجمة التي اختارها عمر بلخير للمصطلح الذي استعمله أوركيوني (poubelle). ينظر بلخير (عمر): تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2003، ص: 7. وترجمها في موضع آخر بـ "القمامة الإنسانية"، ينظر: إجراءات التحليل التداولي للخطاب، مجلة الثقافة، فصلية ثقافية تصدر عن وزارة الثقافة، ع/19، أبريل 2009، عبر موقع: <https://omarbelkheir.wordpress.com>، يوم 2018/7/12 في الساعة: 23:00، ص: 1.

اللسانيات "كما عند (كارناب) ثم أصبحت بعد فترة وجيزة من أكثر المقاربات تلاقيا مع تحليل الخطاب، ومع مقاربات أخرى كاللسانيات، وعلم الدلالة.⁽²⁷⁾

وقد أهّلها ذلك كله، لأن تستقلّ منهجا، يدرس اللغة، له أسسه ومفاهيمه، وأدواته الإجرائية، مما دفع ببعض الباحثين إلى التساؤل عن حدود هذه المقاربة الجديدة، ومستوياتها، بل ومدى شرعية نسبتها لللسانيات؟⁽²⁸⁾. يقول (عيد بلبع) في هذا الصدد: «...وينبغي أن ننبه إلى أن هذا التداخل بين التداولية والمقاربات الأخرى، يندرج في قائمة التداخلات بين هذه المقاربات نفسها، وأن بعض هذه التداخلات ما يزال ينشأ جدلٌ غير قليل حول قبوله، أو رفضه، خصوصا في حقل اللسانيات التي تنتمي إليه المقاربة، والذي ما يزال منقسما على نفسه في قبولها أو رفضها»⁽²⁹⁾.

فالمقاربة التداولية ليست مجرد فتح جديد في مجال البحث اللساني بقدر ما هي "خليفة" و"وريث شرعي" كفيل بتغيير مجرى الدراسات الحديثة، لاتكائه على منظومة متشعبة تُشكّل «مفترق طرق غنية لتداخل اختصاصات اللسانيين، المناطق، السيميائيين، الفلاسفة، السيكلوجيين والسوسولوجيين».⁽³⁰⁾

وهي من جهة أخرى توسع لساني قائم على السياق الذي به تتضح الماهية التداولية للغة (الماهية الاستعمالية) ولذلك اعتبر التلطف أساس التداولية، خاصة عندما تتخذ معنى جريان الكلام على اللسان أي اكتساب اللغة وتوظيفها في ممارسة وتفاعل (L'étraction)⁽³¹⁾.

يقول (عبد السلام إسماعيلي علوي): «لقد أصبح اعتبار المعطيات العادية جدا، والملموسة في التواصل أمرا ضروريا، وقد أثّرت في ذلك مجموعة من الأسئلة التي باتت محيرة وتتطلب إجابات نظرية، ومثل هذا الباعث الأساسي لضرورة قيام تحليل تداولي في الفلسفة مثّلت جوانب اهتمامه قضايا تعلّقت بالإحالة والمرجع، تعلّقت بالاقتضاء والاستلزام والفعل، قضايا مثّلت دروسا حيوية في الفلسفة ودشّنت لمشروع لسانيات التداول».⁽³²⁾

فقد برز - إذن - هذا الاتجاه في مقابل الاتجاه الشكلي (البنوي، التوليدي) الذي «يُعنَى بدراسة المنجز في صورته الآتية بغض النظر عن السياق الذي أنتج فيه، أو علاقته بالمرسل وقصده بإنتاجه، ويتمّ ذلك بتحليل لغة بعينها مثل اللغة العربية بوصفها كيّانا مستقلا ذات بنية كلية»⁽³³⁾ لا ينظر إليها إلا من خلال العلائق المتحركة في مستوياتها، بدءا بتحليل الأصوات وصولا إلى مستوى الدلالة، وهو منهج لا يكاد يولي عناية تذكر للكلام الفردي، شأنه في ذلك شأن النحو التوليدي، التحويلي الذي راح يركز على «تفسير الظاهرة اللغوية في

(27) ينظر ، نوري سعودي أبو زيد: في تداولية الخطاب الأدبي، المبادئ والإجراء، دار بيت الحكمة، العلمة - الجزائر، دط، ص ص: 20-21. وينظر عيد بلبع: التداولية البعد الثالث في سيميوطيقا مورييس، ص: 183.

(28) ينظر فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، ص: 15.

(29) التداولية، البعد الثالث في سيميوطيقا مورييس، ص: 182.

(30) نفسه، ص: 11.

(31) ينظر إدريس مقبول: الأسس الإبيستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيويه، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد- الأردن، ط1، 2006، ص: 14.

(32) ما التداوليات؟، ضمن كتاب: (التداوليات علم استعمال اللغة)، ص ص: 17-18.

(33) الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص: 7.

عمقها قبل الإنجاز»⁽³⁴⁾.

وغني عن القول، أن هذا الضرب من الدراسات اللغوية، وقف عاجزا عن مجارة بعض الظواهر اللغوية كظاهرة الإحالة وتحديد مرجعها، والإضمار، والروابط الخطائية وغيرها، وهذا ما برر الجنوح إلى دراسة اللغة في مستوى أعلى من الجملة، مما جعل هذا التوجه «يفقد سيطرته على البحوث اللسانية حيث ظهرت إلى الفضاء دراسات تجاوزت القدرة إلى الإنجاز وأكدت على قيام الذاتية في التواصل»⁽³⁵⁾.

غير أن هذه الحقول الكثيرة والمتشعبة، التي شرعت للبحث التداولي، ومكنت له في ميدان البحوث اللسانية، ظلت دائما تشكك في أهميته وجدواه، من خلال التساؤل الملح عن الوشائج المنهجية والمعرفية التي تؤسس لمنهج تداولي موحد ذي مجالات مختلفة، وإن صار من اليقين مبلغ حاجة الباحثين «إلى هذا المنهج، ليمدهم برؤى متعددة، نتيجة لقصور الدراسات الشكلية وإهمالها لمقاربة اللغة في تحليلها الحقيقي، أي في الاستعمال التواصل بين الناس»⁽³⁶⁾.

وإذا كانت اللغة هي المكون الذهني المكتسب بالفطرة الاجتماعية، فإن الكلام هو لغة مجسدة واقعا بالنطق، إذ أن «الكلام يلوح في صورة كتلة متداخلة يجب تقطيعها، فالكلم له صفة غريبة تشد الانتباه، وهي أنه لا يوقر عناصر ملموسة لأول وهلة، دون أن نشك في أنها موجودة وأن تعاملها بعضها مع بعض هو الذي يؤلفها»⁽³⁷⁾.

إن إثارة قضية الكلام وإشكالية علاقته باللغة، يجعلنا نستثمر ما قلناه سلفا في بداية المقال، لنثبت أنه (أي الكلام) لا يتأسس إلا بفعل الرموز اللغوية التي يشكلها المرسل وفق نسق معين، بغاية التأثير، وبهذا كان لزاما توافر جمهور المتكلمين وجمهور السامعين، لأن «الوظيفة المميزة للكلام بالمقابلة مع التفكير ليست خلق وسيلة صوتية مادية للتعبير عن الأفكار، وإنما هي أن تستعمل كواسطة بين الفكر والصوت في ظروف معينة تسمح بتربطهما الذي يؤدي ضرورة إلى تحديات متبادلة للوحدات»³⁸، ويشكل الكلام الرابطة الذي يأخذ من الفكر واللفظ، وينبني في سياق خطابي معين، باعتبار أن الكلمة لا يتحدد معناها إلا إذا تعالقت مع ما يسبقها ويلحقها من كلم.

وأمام هذا المعطى الخام المتمازج يظهر اهتمام (دو سوسير) بالسياق واضحا، فما عاد خفيا دور السياق الحاسم والجوهري في أي تحليل تداولي، خاصة إذ ما طمحنا بنظرنا إلى بدايات الاهتمام بالمعنى، ف(دو سوسير) من أوائل الذين استخدموا كلمة (Sémantique) (دلالة) لوصف الدراسة التاريخية في تغيير المعنى، واقترح لها فيما بعد مصطلحا جديدا هو (Sémiologie) (علم الرموز) ليصف علما لما يخرج إلى الثور بعد، وإن حدد مجال بحثه، وقصره على دراسة استعمال وظائف العلامات، والكلمات المتداولة في حياتنا اليومية⁽³⁹⁾.

(34) نفسه، ص: 8. وينظر مسعود صحراوي: في الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر، ضمن كتاب: (التداوليات علم استعمال اللغة)، ص: 30.

(35) عبد السلام إسماعيلي علوي: ما التداوليات؟، ضمن كتاب: (التداوليات علم استعمال اللغة)، ص: 19. وينظر: الربيعي ابن سلامة: الوجيز في مناهج البحث الأدبي وفنيات البحث العلمي، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة- الجزائر، ط2، 2008، ص: 54-56.

(36) عبد الهادي بن طافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، ص: 21.

(37) كاترين فوك، وبياري قوفليك: مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة، تع: المصنف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1984م، ص: 21.

(38) المرجع نفسه، ص: 21.

(39) ينظر: عبد النعيم خليل: نظرية السياق بين القدماء والحديثين؛ دراسة لغوية نحوية دلالية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط1، 2007، ص: 266_267.

وهنا تلتقي فكرة (دو سوسير) حول أنَّ «الكلمة إذا وقعت في سياقٍ ما لا تكتسب قيمتها إلا بفضل مقابلتها لما هو سابق لها، ولما هو لاحقٌ بها، أو لكليهما معاً»⁴⁰، والتفكير التداولي؛ ذلك أنَّ الكلمة تكتسب معناها الدلالي بالرجوع إلى ما يسبقها، ويلحقها من كلمات؛ بمعنى أنَّ (دو سوسير) وهو يركّز في دراسته على السياق اللغوي، إنما أراد أن يلفت النظر إلى الطبيعة الكلية للممارسة اللغوية، والتي لا يمكن اختزالها - كما فهم عنه خطأ - في ظواهر تركيبية، أو مستويات إجرائية، سكونية، وإلى ما تقتضيه هذه الممارسة اللغوية من تحقيق الوظيفة المنوطة بها (التواصل)، وهو ما كان أشار إليه علماءنا القدامى في غير تفصيل، وعلى رأسهم (ابن جني ت: 392هـ)^(*).

إنَّ تمثّل (دو سوسير) المبكّر والحاسم للمجالات الكائنة والممكنة المتصلة باللغة، جعل التنصّل من أفكاره أمراً غير ممكن لكل من جاء في إثره، بل نكاد نجزم أن فهمنا له لم يكن في مستوى تفكيره هو ذاته،^(*) تماماً كما جانب فهمنا فهم كثير من أفكار أسلافنا.

ويزيد إيماننا بذلك، ونحن نرى تعصّب بعض الدارسين لفكرة أنَّ التداولية ليست سوى ردة فعلٍ على ما جاء به (دو سوسير)، مستنجدين بفكرة أن هذا الأخير، كان ينادي بدراسة اللغة "لذاً ولأجل ذاتها"، رغم أنَّ دروس (دو سوسير) نفسها، تفنّد هذه المقولة المغلوطة^(**)، وتردّها، الأمر الذي يدفعنا إلى التساؤل ما إذا كان هؤلاء الباحثون قد صالوا وجالوا حقاً في كتاب "محاضرات في الألسنية العامة" لـ (دو سوسير)، وجثوا عند كلّ فكرة فيه متمعّنين، متدبرين؟ أم تُراهم اكتفوا بما فهم عنه، ونُقل إليهم دون نظر، ولا تمحيص، ولا ترديد فكر، وركنوا إلى أفكار النظرة الأولى، التي تُظهر نسباً صريحاً بين (البنوية)، والنظرية السوسيرية، وتفصم عرى التداولية عنهما؟

إنَّ التأسيس المعرفي لطرحنا هذا - وإن كنا قد شرعنا فيه منذ أول المقال - لم يبرح اللغة، ولم يفارقها إنَّ قليلاً أو كثيراً، يقينا منه بأن اللغة هي الأساس الذي يجب أن ننطلق منه للدفاع عن تصوّراتنا، وليست التداولية بدعاً من ذلك، من حيث هي علمٌ يهتم بدراسة اللغة في الاستعمال، وعبرة (في الاستعمال)، تأكيد قوي على بعد اللغة الاجتماعي، هذا البعد الذي لم يُشِر (دو سوسير) إلا إليه حين قال فيها: (أي اللغة) « فهي في الوقت نفسه نتاج اجتماعي لملكة الكلام »⁽⁴¹⁾، على اعتبار أنَّ اللغة جزء أساس من الكلام، فبها يتجسّد فعلاً، وإليها يؤوب كما يؤوب الفرع إلى أصله، ولذلك كانت (اللغة) موضوع اللسانية عنده، فظنّ من أخذ عنه أنها المقصود من دروسه دون (الكلام)، فطرح ما سواها من المناهج المتموضعة فيه، والمشتغلة عليه، مثل: التداولية.

(40) فردينان ديه سوسر: محاضرات في الألسنية العامة: تر: يوسف غازي و مجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة والنشر، الجزائر، دط، 1986، ص: 149. والعبارة الأصلية هي قوله:

« un terme n'acquiert sa valeur que parce qu' il est opposé à ce qui précède ou ce qui suit ,ou à tous les deux » .de Ferdinand(Saussure) 197, p: 3ème édi, 2004, édition, distribution-Alger, Enag

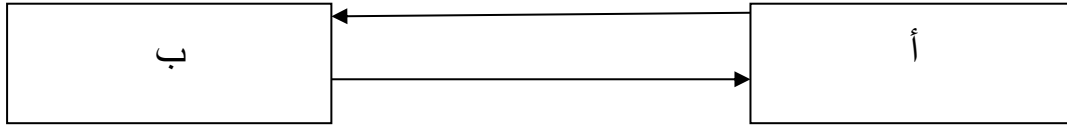
(*) نقصد هذه اللغة بأنها أصوات يعرّ بها كل قوم عن أغراضهم، وتركيزه على الوظيفة التواصلية. ينظر: الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4، ج1، ص34.

(**) تجنباً للتعميم نحيل القارئ إلى كتاب: ميشال أرفيني الأخير: البحث عن فردينان دو سوسير، تر، وتق، وتعليق: محمد خير محمود البقاعي، مراجعة: نادر سراج، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت -لبنان، ط2009، 1، هامش صفحة: 11.

(**) هي مقولة نرى أنها غير دقيقة، ترجمة وفهمًا، ولعل أقرب فهم نُقل إلى العربية تضمنتها ترجمة أستاذنا (عبد الرحمن حاج صالح) رحمه الله، وهي: "عرّف اللغة منها وإليها"، ولا يخفى ما في هذه العبارة من دقّة، وتكثيف دلالي، وتضمّن لمقاربات عديدة، وما ذلك من فكر شيخ اللغويين الجزائريين ببعيد؛ إذ نراه ماثلاً في منهجه الذي لم يجد عنه، حتى لاقى ربه، منهج العلماء، الذي يأخذ بالحق أيّ وجهه، ويُعدّ له ما استطاع من مناهج، ومن رباط العلم. للاستزادة ممّا قيل على هذه العبارة، ينظر: عبد الرحمن حاج صالح، مدخل إلى علم اللسان الحديث، مجلة اللسانيات، مجلة في علم اللسان البشري، تصدرها جامعة الجزائر، ع1، 1972م، ص45-51. وللأمانة العلمية، نشير إلى أنَّ أول من أشاد بهذه العبارة - حسب علمنا - هو مترجم كتاب (البحث عن فردينان دو سوسير)، محمد خير البقاعي، ينظر: هامش صفحة: 13.

(41) فردينان دو سوسير: دروس في الألسنية العامة، تر: صالح القرماضي، وآخرون، ص: 29.

ثم إنَّ اهتمام (دو سوسير) باللغة لا يعني إهماله الكلام، أو تغييه إيَّاه، لأنَّنا نتلمس في غير ما موضع من دروسه، إقراره بأنَّ البحث في مجموع الكلام يقتضي تفحص العملية الفردية، الَّتِي تقتضي حتما وجود طرفين على الأقل، وهو ما أجمله في مخططة الآتي الشهير⁽⁴²⁾:



الشخص _أ_ والشخص _ب_ يتخاطبان

فالعَمَلِيَّة الفردية تحتاج إلى مرسل ومرسل إليه، وتقتضي التحام المكوّن الذّهني مع الصّورة السّمعية، ونقصد بهذا الكلام الَّذِي يتشكل من اللّغة، والنّطق، والسّمع؛ إذ يث (أ) رسالته عبر الهواء، لتصل بفعل السّمع إلى (ب) ليحاول هذا الأخير فكّ شفرتها، ثمّ يتحوّل بدوره إلى مرسل، وهكذا دواليك، ولا نظنّ معنى التداول خافيا في هذا التبادل المنطقي، ذي الأبعاد اللسانية، المؤطر سياقيا.

ونلفي في زاوية أخرى من الكتاب -دروس في الألسنية العامة- أنّ (دو سوسير) يؤكّد على البعد الاجتماعي للغة بوصفها ظاهرة تواصلية اجتماعية فيقول: « واللّغة بالنسبة إلينا هي الكلام، إذا طرخت منه اللفظ، وهي مجموع العادات اللّغوية الَّتِي تمكّن المتكلّم من الفهم والإفهام، إلّا أنّ اللّغة بهذا التعريف لا تزال خارج إطار حقيقتها الاجتماعية [...]؛ أي أنّ التعريف لا يشمل سوى جانب واحد من جوانب الواقع اللّغوي هو الجانب الفردي، والحال أنّ وجود اللّغة متوقّف على وجود جمهور المتكلّمين ». (43)

يؤكّد (دو سوسير) أنّ اللّغة جزء من الكلام، وهي تمثل مجموع الأحكام والأعراف اللّغوية الَّتِي تواضع عليها قوم ما، إلّا أنّه لا يمكن إغفال جمهور المتكلّمين، فبدونهم تصبح اللّغة مجردة غير قابلة للدراسة والتحليل.

كما بنى (دو سوسير) نظريته الاجتماعية للغة على أساس أنّ اللّغة ترتبط ارتباطاً وثيقاً، بالمجتمع، لأنّها تنقل صورته الواقعية، وتتغيّر من مجتمع لآخر حسب العادات والتقاليد. (44)

وهو ما نجده ماثلاً في التفكير التداولي، فيما يسمى بـ"المعرفة بالعالم"، أو "المعرفة المشتركة"، الَّتِي يؤدي توافرها بين المتخاطبين إلى تحقّق وظيفتي: التعامل والتفاعل، وهما الوظيفتان اللتان اختزل فيهما (ليتش) (leech)، مجموع الوظائف اللّغوية السابقة، ومن هنا يوم القول إنّ أفكار (دو سوسير) شكّلت محضنا خصباً لكثير من النظريات اللسانية الحديثة والمعاصرة، سرعان ما بلورتها جهود بعض اللسانيين، سواء أكانت هذه النظريات صريحة النّسب، أم بالتبني، وسواء أخرجت إلى النور زمن عزّابها الأول، أم تأخّر ظهورها لغياب دواعيها الموضوعية والذاتية، على غرار التداولية، الَّتِي استثمرت المعطى اللساني السوسيري، وفرّخت نظرية لسانية تهتم بالكلام، أو بتعبير التداوليين العرب تدرس اللّغة في الاستعمال.

- خاتمة:

(42) ينظر: المصدر نفسه، ص: 31.

(43) المصدر نفسه، ص: 123_124.

(44) يُنظر: عبد النّعيم خليل: نظرية السّياق بين القدماء والحديثين؛ دراسة لغوية نحوية دلالية، ص: 268.

نخلص في ختام هذا المقال إلى أن فضل (دو سوسير) على الدراسات اللسانية الحديثة والمعاصرة لا يُنكر؛ فقد شدّ انتباه اللغويين، عبر المكان والزمان، من أوروبا إلى شرق آسيا، ولم تكن الدراسات العربية هي الأخرى بمنأى عن هذا التأثير الحاسم، فظهرت أفكاره مكررة في بعض الاتجاهات، واكتفى بعضها الآخر بتفسير الظاهرة اللغوية من منظور تراثي بحت، دون أن يلامس جوهرها، ويصل إلى كنهها، كما تمثلها صاحبها، بينما استفادت اتجاهات أخرى من هذا الزخم المعرفي، فأوجدت مقاربات لسانية غيّرت مجرى تحليل الخطاب اللساني، وعصفت بأدوات إجرائية كانت لها اليد الطولى لعهود، ونحسب التداولية اللسانية إحداها.

فهو المجال الشرعي الذي يجمع في غير استحياء بين مكونات تبدو غير متجانسة، أو لا يصلح التوليف بينها في نشاط إنساني واحد، وهي: "اللغة، والمنطق والسياق" ولعلها من هنا كانت مرقعة الدراويش في منطق البعض، أو "غرفة مهملات اللسانيات" في نظر آخرين. وعلى الرغم من كل ذلك ظلت التداولية اللسانية، وفيّة لوظيفة اللسانية عموماً، والمتمثلة في الحفاظ على وظيفة الخطاب التواصلية، وحشد كل ما من شأنه تعزيزها، بين طرفيه، وطفقت لذلك، تحتوي كل التخصصات المساعدة على تحقيق هذه الغاية، كعلمي: النفس، والاجتماع، والفلسفة، وغيرها من العلوم الإنسانية والاجتماعية على اختلاف وسائلها وتعدد غاياتها.

إنّ ما يعيق الباحث وهو يروم الخروج بحلّ لإشكاليات بات الغوص فيها أمراً مستعصياً، من قبيل: أيّمكن أن نؤسس للسانية عربية تنأى عن إستراتيجية إسقاط النظريات الغربية على اللغة العربية؟ سرعان ما يقع رهينة التعالق، والتواشج بين هذه النظريات وموروثنا العربي، الذي يؤكّد تقاطع المبادئ والجوانب التي تأسست عليها النظريات اللسانية الحديثة - والتي تمخضت عن اللسانيات السوسيرية في بادئ أمرها - وتأصلها فيها.

فنحن وإن أقررنا بتوافر جهود لسانية عربية إلا أننا لا نجد بدا من الإشارة إلى منظومات مرجعية «فهناك منظومة لغوية تقليدية تبتدئ بما أنتجه وأبدع فيه رواد الفكر اللغوي القديم في القرن الثاني الهجري وخاصة الخليل وسيبويه، ثم من جاء بعدهم بدرجات مختلفة، [...] وقد قامت جماعة من اللغويين العرب في بداية القرن الحالي بمحاولة بناء منظومة لسانية جديدة تحاور التيارات اللسانية المؤسسة في الغرب وتستمد منها أصولها وخاصة الأصول البنوية الوصفية»⁽⁴⁵⁾، وبذلك يمكننا الإقرار أنّ البنوية أو ما يمكن أن نطلق عليها بذرة (سوسير) اليانعة هي التي كانت سبباً مباشراً في انفتاح الساحة اللغوية العربية على نظريات ما فتئت تحمل تصوّرات ورؤى فكرية بين معارض ومؤيد للفكرة الأم (البنوية).

ولعلّ ما يركي اللسانية السوسيرية هو ولوجها الساحة النقدية العربية من بابها الواسع؛ فقد راح النقاد العرب يكتبون ويؤلّفون فيها تنظيراً وإجراءً، ويمكن أن نمثّل لذلك ببعضٍ منهم، إذ نجد مثلاً أنّ السبق في ذلك يرجع إلى (صلاح فضل) وكتابه (النظرية البنائية في النقد الأدبي)، الذي قام من خلاله بعرض الأفكار السوسيرية ومدرسة الشكلايين الروس، وإسهامات (جاكسون)، وجهود مدرسة النقد الجديد بأمريكا⁽⁴⁶⁾، وحاول الناقد تقديم عرض نظري شامل للجهود المذكورة آنفاً، ونحا (كمال أبو ديب) نحوه في كتابه (جدلية الخفاء والتجلي).

⁽⁴⁵⁾ عبد القادر الفاسي الفهري: اللسانيات العربية؛ نماذج للحصيلة ونماذج للأفاق، (ضمن ندوة تقدّم اللسانيات في الأقطار العربية، أبريل 1987 الرباط)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1991، ص: 12_13.

⁽⁴⁶⁾ _ وردة عبد العظيم عطا الله قنديل: البنوية وما بعدها بين التأصيل الغربي والتحصيل العربي، (رسالة ماجستير)، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، 2010م، ص: 193.

حين تَخَيَّر دراسات بنوية لنصوص شعرية قديمة، ثم حاول التأسيس من خلالها للمنهج البنوي، تنظيراً وإجراءً، وخصص كتابه الثاني "الرؤى المقنّعة، نحو منهج بنوي في دراسة الشعر الجاهلي، للجانب الإجرائي للمنهج البنوي.

وإضافة إلى (صلاح فضل)، و(كمال أبو ديب) نلّفني كذلك أن (محمد بنيس) لمس نجاعة المنهج البنوي في قراءة النصوص الشعرية العربية، وطبق آلياته على نصوص عدّة تأسّيًا بنقاد آخرين لا يسعنا بسط الحديث فيهم جميعاً أمثال: (عبد الملك مرتاض)، و(عبد الله الغدامي)، و(عبد الفتاح كليطو) وغيرهم.

وعلى هذا؛ يمكن القول إنّ المبادئ اللسانية التي أرسى دعائمها (دو سوسير) شكلت بداية الفتح اللساني الذي غزا الساحة النقدية العربية، وفي الوقت نفسه كانت أساساً للنظرية البنوية، وفتحت الباب على مصراعيه لعدد من المناهج والنظريات.

يمكن- في ضوء ما سلف- عدّ التداولية امتداداً للسانية السوسيرية، وتمثيلاً لروحها، وتجيّداً عملياً لفهم صاحبها اللغة، ضمن إطار كليّ، مؤطّر، مُدرج في شبكة علائقية، ولذلك نقترح تقديم قراءات معمّقة، جادّة، لأفكار (سوسير)، تتجاوز الأحكام التّمطية التي رضعناها من لدن فهم تجاوزها المكان والزمان، تتأسس على طرح عام هو شموليّة التفكير اللّساني وانبناؤه على بُنى، معرفيّة إنسانية، شموليّة تؤمن بأنّ الحضارات ومُخرجاتها لا تقبل التجزئة والتعصّب، وأنّ سبيل الحقّ واحدة، لا يمكن للضّارب فيها إلّا أن يتسلّح بالموضوعيّة ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم: رواية ورش عن نافع، موفم للنشر، الرغبة، الجزائر، دط، 2010.
- أولاً: المصادر العربية:
- 1- فردينان ده سوسر: محاضرات في الألسنية العامة: تر: يوسف غازي و مجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة والنشر، الجزائر، دط، 1986.
- 2- فردينان دو سوسير: دروس في الألسنية العامة، تع: صالح القرمادي، محمد الشاوش، محمد عجينة، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، دط، دت.
- ثانيا: المصادر الأجنبية:
- 3- Ferdinand de Saussure: Cours de Linguistique Générale, Enag, édition, distribution- Alger, 3ème édi, 2004.
- 4- Ferdinand de Saussure course in general linguistics, (1916) wade baskins translation, 1974,
- ثالثا: المراجع (العربية، والمترجمة إليها):
- 5- أحمد مومن: اللسانيات؛ التّشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ط2، 2005م.
- 6- إدريس مقبول: الأسس الإستيمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيويو، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد- الأردن، ط1، 2006.
- 7- ابن جني، أبو الفتح عثمان، الموصلي (ت392 هـ)، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4، دت.
- 8- الجيلالي دّلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، دط، 1992.
- 9- كاترين فوك، وبيارلي قوفيك: مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة، تع: المنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1984م.
- 10- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط4، 2004.
- 11- محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، دار الكتب العلمية ودار القرآن، بيروت- لبنان، ط1، 1999.
- 12- محمود أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، دط.
- 13- محمود عكاشة: التّظيرة البراغماتية (اللّسانية)، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 2013.
- 14- مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب: دار الطليعة، بيروت- لبنان، ط1، 2005.

- 15- مسعود صحراوي: في الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر، ضمن كتاب: (التداوليات علم استعمال اللغة)، إعداد وتقديم، حافظ إسماعيل علوي: عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، ط1، 2011.
- 16- مصطفى محمود، أينشتاين والنسبية، دار العودة، بيروت- لبنان، دت.
- 17- منال محمد هشام سعيد النجار مفهوم البراغماتية، ضمن كتاب: (التداوليات علم استعمال اللغة)، إعداد وتقديم، حافظ إسماعيل علوي: عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، ط1، 2011.
- 18- منال محمد هشام سعيد النجار، نظرية المقام في ضوء البراغماتية، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، ط1، 2011.
- 19- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد ابن مكرم (ت 511هـ): لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، دط.
- 20- ميشال أريفي: البحث عن فردينان دو سوسير، تر، وتق، وتعليق: محمد خير محمود البقاعي، مراجعة: نادر سراج، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت - لبنان، ط2009، 1.
- 21- نعمان بوقرة: المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، دط، 2003م.
- 22- نواري سعودي أبو زيد: في تداولية الخطاب الأدبي، المبادئ والإجراء، دار بيت الحكمة، العلمة - الجزائر، دط
- 23- ستيفن أولمان: دور الكلمة في اللغة، تر: كمال محمد بشر، مكتبة الشباب، مصر، دط 1975م.
- 24- عبد السلام إسماعيلي علوي: ما التداوليات؟، ضمن كتاب: (التداوليات علم استعمال اللغة)، إعداد وتقديم، حافظ إسماعيلي علوي: عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، ط1، 2011.
- 25- عبد التّعيم خليل: نظرية السّياق بين القدماء والمحدثين؛ دراسة لغوية نحوية دلالية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنّشر، الإسكندرية، مصر، ط1، 2007.
- 26- عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت- لبنان، ط1، 2004.
- 27- عمارة ناصر: اللغة والتأويل؛ مقاربات في الهيرمينوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي، دار الفراي، بيروت، لبنان، دط.
- 28- عمر بلخير: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2003
- 29- عيد بلبع: التداولية، البعد الثالث في سيميوطيقا موريس، بلنسية للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2009.
- 30- فان دايك: النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر: عبد القادر قيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، د ط، 2000.
- 31- فرنسواز أرمينيكو: المقاربة التّداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، دط، 2003.
- 32- الربيعي ابن سلامة: الوجيز في مناهج البحث الأدبي وفتيات البحث العلمي، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة- الجزائر، ط2، 2008.
- 33- تمام حسّان: الأصول، دار الثقافة، الدار البيضاء، د ط، 1411هـ.
- 34- تمام حسّان: اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، ومطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء- المغرب، د ط، 1994.

- 35- خليل أحمد خليل، معجم المصطلحات الأسطورية، دار الفكر اللبناني، بيروت- لبنان، ط1، 1996.
- رابعاً: المجلات والدوريات والرسائل الجامعية ومواقع الويب:
- 36- تمام حستان: اللغة والنقد الأدبي، مجلة فصول، مج4، ع1، القاهرة- مصر، دت.
- 37- عبد القادر الفاسي الفهري: اللسانيات العربية؛ نماذج للحصيلة ونماذج للآفاق، (ضمن ندوة تقدّم اللسانيات في الأقطار العربية، أبريل 1987 الرباط)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1991.
- 38- عبد الرحمن حاج صالح، مدخل إلى علم اللسان الحديث، مجلة اللسانيات، مجلة في علم اللسان البشري، تصدرها جامعة الجزائر، ع1، 1972م
- 39- عمر بلخير: إجراءات التحليل التداولي للخطاب، مجلة الثقافة، فصلية ثقافية تصدر عن وزارة الثقافة، ع/19، أبريل 2009، عبر موقع : <https://omarbelkheir.wordpress.com>، يوم 2018/7/12 في الساعة: 23:00
- 40- السعيد مومني: المكان الشعري من نهر الرماد لخليل حاوي، قراءة المكان في علاقته بالتشكيل الشعري، رسالة ماجستير، إشراف: بوجمعة بوبعوي، جامعة عنابة، 1999-2000.
- 41- وردة عبد العظيم عطا الله قنديل: البنية وما بعدها بين التأصيل الغربي والتحصيل العربي، (رسالة ماجستير)، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، 2010م.